مناورات رضا خان وصلاته مع القوى الاجنبية

قبيل تسنمه العرش في ايران

الدكتورة فرح صابر

جامعة بغداد

مدخل تأريخي

شهدت ايران في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين تحولات اقتصادية، واجتماعية، وسياسية تركت اعمق الاثر في المجتمع الايراني، وامتدت هذه الآثار الى النظام القاجاري نفسه، الذي بدأت عوامل الضعف والتدهور تظهر عليه، وقادت الى سقوطه فيما بعد.

تزامن ذلك مع تصارع شديد للقوى الكبرى على ايران، الى جانب تفاقم الاوضاع الداخلية التي كانت تنذر بخروج الاوضاع عن السيطرة في ايران. مهّد ذلك كله السبيل امام شخصية عسكرية طموحة هو الكولونيل رضا خان للقفز الى السلطة،عبر انقلاب عسكري، وتأسيس نظام حكم جديد. عُرف الانقلاب الجديد في التاريخ الايراني بـ "انقلاب حوت"[١] الذي صادف ٢١ شباط عام ١٩٢١ الذي قاده رضا خان عسكريا، وسيد ضياء الدين طباطبائي[٢] سياسيا. دشن الانقلاب بداية مرحلة جديدة في تاريخ ايران الحديث، وشكل بداية النهاية لسقوط الاسرة القاجارية، وقيام نظام جديد في ايران، وهو حكم الاسرة البهلوية[٣]. ولاشك ان الانقلاب لم يأت اعتباطا، بل كان حصيلة جملة من المتغيرات الذاتية والموضوعية، الداخلية والخارجية، واشتركت فيه شخصيات متباينة في اتجاهاتها ومشاربها، ومن منطلقات متناقضة، لكنها التقت عند نقطة واحدة هي الحيلولة دون حدوث تغيير جذري يعصف ببنية النظام القديم واتجاهاته المعروفة.

كان رضاخان قد تمكن بمقدرته الشخصية، وبما اثبته من كفاءة ومهارة، ان يتدرج في المناصب العسكرية بشكل سريع، خصوصا بعد نجاحه في الحملات التي اشترك

فيها ضد الحركات المعادية للسلطة المركزية، لاسيما الحركات الثورية في شمال ايران، حتى قُدِّر له ان يصبح قائدا للواء القوزاق، الذي كان يمثل قوات النخبة في الجيش الايراني[٤].

ومهما يكن من امر، لم تكن أعين البريطانيين غافلة عن هذا الصعود المتسارع لرضا خان، وكان لطموحه ومنطلقاته الفكرية التي تقف على طرفي نقيض مع الديمقراطية، وكراهيته الشديدة للشيوعية اثر كبير في جذب اهتمام البريطانيين نحوه، بل حاولوا كسبه الى جانبهم، لاسيما بعد ان بدأت علاقتهم تسوء مع النظام القاجاري في اواخر أيامه. وكان رضا خان بدوره قد حصل على رضى الانكليز وثقتهم بعد نجاحه في توثيق علاقاته مع كبار الضباط الانكليز في لواء القوزاق الذين وصفهم بعد اعتلائه العرش بـ (رفاق السلاح)[٥]. في حين اعتبره، الدبلوماسي البريطاني الشهير، السير برسي كوكس الشخص الوحيد المؤهل لاجراء التغيير المطلوب في ايران[٦]. وعلى الرغم من تعدد الاسماء المرشحة للتغيير المقبل، فأن الرأي استقر اخيرا على اختيار رضا خان باعتباره (الشخص الوحيد الذي بوسعه وقف المد الجديد للحركة الديمقراطية المعادية للاستعمار)[٧]، و (الرجل الوحيد الذي لاغنى عنه في ايران)[٨] على حد تعبير دونالد ولبر.وبخطواته المدروسة والمتقنة، اقنع الانكليز انه غدا (الشخصية المهمة الوحيدة في ايران)[٩] للحفاظ على المصالح البريطانية في بلاده والمنطقة. وبعد ان وجد في نفسه القوة اللازمة ازاح ضياء الدين طباطبائي عن الحكم بعد سلسلة مناورات عرف كيف يمسك بخيوطها، ويوثق الجميع بها، مهدت له الطريق لاعتلاء العرش الايراني.

منح الامتيازات وسيلةً لكسب الدعم الخارجي

اتسمت سياسة رضا خان في هذا الميدان المهم بقدر كبير من الذكاء والديناميكية، فهو ادرك منذ البداية ضرورة الا يغدو "ألعوبة في يد بريطانيا"، كما توقع السفير البريطاني في طهران، برسي لورين في البداية، وان لايصبح " مخلبا" في ايدي الوزير السوفييتي في طهران كما صرح أرميتاج سمث، المستشار المالي البريطاني

لدى ايران[١٠]. وقد حاول رضا خان في الوقت نفسه ان يستغل الورقة الامريكية الى أبعد حد ممكن.

فعلى اثر فشل شركة "ستاندرد اويل" الامريكية في الحصول على امتياز نفط الشمال نجحت شركة "سنكلير" الامريكية في التوقيع على اتفاق مع الحكومة الايرانية يخص الامتياز المذكور، ولم يبق الا تصديق المجلس(اسم مجلس النواب بالفارسية) عليه[١١]. وصرح حسين علاء، وزير ايران المفوض لدى الولايات المتحدة الامريكية، ان تعاون حكومته مع الشركات الامريكية يستهدف "ابعاد السيطرة البريطانية والروسية عن ايران" [١٢]. وقد اثار توقيع الاتفاق المذكور معارضة قوية من "شركة النفط الانكلو – ايرانية"، التي امتلكت اسهمها الحكومة البريطانية، وشركة "ستاندر اويل" [١٣]. وفي آذار ١٩٢٤ صادق المجلس على الامتياز، الامر الذي أثار استياء الاطراف الاخرى. فقد توالت مذكرات الاحتجاج البريطانية على الحكومة الايرانية، كما شنت الصحف البريطانية، ولاسيما الامريكية الموالية لشركة "ستاندر اويل" حملة صحفية واسعة ضد الحكومة الايرانية وشركة "سنكلير"، واتهمت وزير الخارجية الايرانية باستلام رشوة قدرها (١٠٠,٠٠٠) دولار لقاء التوقيع على الامتياز[١٤]. ومما تجدر الاشارة اليه ان النيران شبت في اجزاء من بناية المجلس الايراني عندما كانت المناقشات تجري داخله للتصديق على الاتفاق، ونُسب هذا العمل الى "مخربين مجهولين"[١٥].

استمر رضا خان في سياسة موالاة الامريكيين، فمنحهم سلسلة امتيازات لبناء السكك الحديد واستخراج المعادن، كما وصل اثناء ذلك وفد تجاري امريكي من شركة "بلير" لدراسة امكانية منح ايران قرضا بضمان عائدات الكمارك، فاعترض البريطانييون على ذلك، واكدوا انهم لن يسمحوا بجعل واردات كمارك الجنوب، التي كانت تخضع لاشرافهم، ضمانة للقرض الامريكي[١٦]. وبينما كان ممثل شركة "سنكلير" موجودا في ايران، وقع حادث كان له ابلغ الاثر على موقف رضا خان الداخلي. فقد أغتيل وكيل القنصل الامريكي روبرت ايمبري على يد متطرفين في

احدى ضواحي طهران يوم الثامن عشر من حزيران ١٩٢٤، واختلفت المصادر في تحديد الجهة المسؤولة عن حادث الاغتيال. فبينما اتهم خصوم رضا خان رئيس الوزراء بانه وراء تدبير الحادث ليلقي القبض على خصومه، اتهمت مصادر اخرى القاجاريين انهم وراء الحادث، لاسيما بعد ان رفضت السفارة البريطانية اقتراحا من رضا خان لتشكيل لجنة للتحقيق في حادث الاغتيال[١٧]. ونتيجة موجة الاضطرابات التي رافقت الحادث اضطر رضا خان الى اعلان الاحكام العرفية، وفرض قيود مشددة على الصحافة[١٨].

في الوقت نفسه، باشر رضا خان باعطاء سلسلة امتيازات للالمان ساعدت على استعادة نفوذهم القديم، لاسيما في اسواق ايران[١٩].

كان الانكليز اثناء تلك الاحداث الدراماتيكية يرقبون الوضع في ايران، لانها كانت تمس مصالحهم مباشرة سواء كان في ايران او في المنطقة. ففي ايار ١٩٢٤ اعلن اللورد كيرزن في خطاب له امام البرلمان البريطاني حول الاسباب الحقيقية لانحدار سمعة بريطانيا في ايران وموجة العداء الموجهة ضدها بانها ناتجة عن الشعور القومي المتطرف و"ان على البريطانيين ان يتعلموا كيف يهادنوا هذه الروح القومية"[٢٠]. ولم ينس كيرزن ان يثني في خطابه على جهود رضا خان الذي تمنى له "كل نجاح وموفقية"، ودعا الى الاعتماد على المساعدة المالية البريطانية "التي افادت ايران فائدة كبرى"، و"على العواطف الودية التي تحفظها لها(لايران) حكومة صاحبة الجلالة" [٢١]. ولاظهار حسن النية، بادر الانكليز الى سحب قوتهم الموجودة في دوزداب لحراسة خط السكة الحديد هناك، وتخفيض عدد الحامية الهندية على موانيء الخليج العربي بعد مفاوضات دارت بين الجانبين البريطاني والايراني، وسلموا دوائر البريد الموجودة في الجنوب الى الحكومة الايرانية، كما سحبوا حرسهم الخاص بحراسة ممثلياتهم الدبلوماسية المنتشرة في انحاء ايران[٢٢]. كذلك لم يبذل الانكليز اي محاولات جدية لحماية الشيخ خزعل امير امارة عربستان من تهديدات رضا خان المتوالية رغم تعهداتهم السابقة للشيخ.

على اي حال لم يكن رضا خان اقل سخاءا تجاه المصالح البريطانية، فقدم تسهيلات مهمة لشركة الخطوط الجوية البريطانية (الخطوط الجوية الامبراطورية)، وبموجبه استطاع الانكليز استخدام الاجواء الايرانية في رحلات تبدأ من لندن وتنتهي بكراتشي بعد ان تمر عبر القاهرة[٢٣].

ولايخفى ماكان لهذا الخط من اهمية كبرى بالنسبة لبريطانيا آنذاك، لاسيما بعد ان حصلت على حق الانتداب على اقطار عديدة في المنطقة. فقد كان بامكان هذا الخط ان يحوّل للاستخدامات العسكرية عند الحاجة. وخوفا من معارضة الرأي العام فان المفاوضات حوله جرت بين الطرفين بشكل سري في وزارة الخارجية الايرانية. كذلك سمح رضا خان بتجديد الامتياز للبنك الامبراطوري الايراني[٢٤]. كما اوقف بعض الصحف المتطرفة التي كانت تهاجم السياسة البريطانية في ايران[٢٥].

وفي الوقت نفسه اجرى رضا خان تعديلا وزاريا ادخل بموجبه في الوزارة بعض الساسة المعروفين بارتباطهم الوثيق بالانكليز امثال قوام الدولة، ونصر الدولة، وعهد للأول حقيبة وزارة الداخلية، وللأخير وزارة العدلية، الامر الذي اثار اعتراض عدد من اعضاء المجلس، لاسيما زعيم حزب الاشتراكيين الذي وصف الاخير بانه خائن للدستور وغير جدير بتولي المسؤولية، وادى ذلك الى نشوب نزاعٍ داخل المجلس، وحدثت اشتباكات بين عدد من النواب الاشتراكيين واقرانهم من النواب الموالين للحكومة[٢٦].

ولارضاء البريطانيين اكثر، عمد رضا خان الى التقليل من اهمية علاقاته مع السوفييت والتي كانت قد شهدت تطورا ملحوظا خلال الفترة السابقة. واستغلت الصحافة الاجنبية الاضطرابات الداخلية التي وقعت في ايران ابان تلك الفترة لتتهم السوفييت بموالاة احمد شاه، والإعراض عن تأييد رضا خان، الامر الذي دفع السوفييت الى تكذيب الخبر بشدة، والإيعاز الى وكالة "تاس" بنشر بيان بهذا الخصوص دحظت فيه الادعاء المذكور، واعلنت " ان الحكومة السوفييتية تعلن عن

تمسكها الكامل بسياسة عدم التدخل في الشؤون الداخلية الايرانية، وتتمسك بعلاقات الصداقة والمودة مع حكومة رئيس الوزراء رضان خان"[٢٧].

ان سياسة رضا خان في هذا المضمار اثمرت بسرعة، فلم يبقَ امامه سوى الخطوات الاخيرة الحاسمة لارتقاء العرش الايراني.

خطوات رضا خان لتوطيد نفوذه الداخلي

قرر رضا خان بعد ان استتبت له الامور اثر قضائه على حركتي الشيخ خزعل في الجنوب وسمكو في الغرب، وبعد ان ضمن الاطراف الاجنبية، ان يخطو خطوة ابعد لتحقيق مراميه. ففي ٨شباط ١٩٢٥ اعلن امام المجلس انه قد وجد من المستحيل استمراره في عمله مع تدخل الشاه بواسطة نائبه في اموره، وانه لن يستطيع مواصلة اعماله دون اعادة النظر بموقعه وتخويله الصلاحيات الكافية. ووضع النقاط على الحروف حينما طلب من المجلس منحه منصب القائد العام للقوات المسلحة، وحدد مدة اربعة ايام لاجابة طلبه[٢٨]. وفعلا اذعن المجلس لرغبته، وقرر بالضد من البند(٥٠) من الدستور الايراني الذي اكد على حق الشاه في ان يكون القائد العام للقوات المسلحة، تعيين رضا خان قائدا اعلى للقوات المسلحة مع منحه صلاحيات غير محددة[٢٩]. وكان ذلك يعني عمليا تجريد الشاه الذي "لم يعد يملك من امر بلاده شيئا"[٣٠]، من قسم كبير من صلاحياته الدستورية. وكانت ايضا الخطوة الاولى التي سعى رضا خان عن طريقها الى فرض دكتاتوريته العسكرية على الجميع.

بعد عدة ايام زار رضا خان المجلس وشكر اعضاءه على قرارهم آنف الذكر، وبعد ان عدد منجزاته التي قدمها للبلاد، اقترح على المجلس دعوة الشاه للرجوع الى البلاد من "سفرته الطويلة". واقترح ايضا تشكيل لجنة من (١٢) عضوا من المجلس لمساعدته في تحمل اعباء الحكم[٣١]. وغدا منذ ذلك الوقت يتصرف كملك غير متوج. فكان يخاطب في المراسلات الرسمية بلقبه الجديد(بهلوي). كما ان كبار رجال الدولة، والممثليات الاجنبية كانوا يحيطون رضا خان بالاهتمام والتقدير اثناء المناسبات

والاحتفالات الرسمية، وكأنه الحاكم الفعلي للبلاد، ويتجاهلون احمد شاه وولي عهده[٣٢].

ولتعزيز موقعه داخل الجيش، وعدم فسح المجال امام (طموحات) البعض من قادة الجيش، اعاد ترتيب المواقع العسكرية داخل القوزاق والوحدات العسكرية الاخرى بما يضمن هيمنته ومراقبته الكاملة لجميع شؤون القوات المسلحة[٣٣]. وعلى اثر ذلك غادر الى اذربيجان في جولة جديدة لكسب الاصوات، وخاطب الاذربيجانيين بقوله"جئت لازور سكان الاقليم المخلصين والنشطين، ولأعبر عن امتناني لخدماتهم الجليلة للبلاد طوال الفترات الماضية"[٣٤]. ولم ينس ان يصطحب في طريق عودته الى طهران الجنرال عبدالله خان طهماسب، الحاكم العام لاذربيجان، تحسبا من استغلاله لشعبيته المتزايدة بين سكان الاقليم[٣٥].

رافقت تلك التحركات حملة شديدة ضد احمد شاه و (العائلة القاجارية الممقوتة)، وظهرت منشورات ليلية تنتقد احمد شاه لاهماله شؤون البلاد، وتنكر عليه (التنقل من فندق لاخر، ومن مدينة لاخرى، في اوربا). وتقارن بين ماقدمه هو وعائلته لايران على مدى مايزيد على القرن، مع ماقدمه رضا خان خلال اربع سنوات[٣٦].

اثناء ذلك استلم رضا خان برقية من احمد شاه ينبئه فيها عن قرب عودته[٣٧] الى ايران لمناقشة الامور مع (فخامة رئيس الوزراء)، ورد عليه رضا خان بعد ايام بجواب لم يخل من كثير من الكياسة والذكاء[٣٨].

اثار نبأ عودة الشاه، الذي انتشر بسرعة، رد فعل عنيف بين اوساط عديدة، ورافق ذلك ازمة شديدة جراء نقص الخبز، سرعان ماستغلها خصوم رضا خان لزعزعة مواقعه، لاسيما بعد ان انطلقت جموع محتشدة في الشوارع وهي تهتف بشعار(الشاه والخبز)، وطالبت باقفال الاسواق[٣٩]. واعتصم حوالي(١٧٠) متظاهرا بباحة السفارة السوفييتية[٤٠]، لكنهم اضطروا الى مغادرتها بعد ثلاثة ايام بضغطٍ من مسؤولي السفارة[٤١]. استغل رضا خان تلك الاحداث فاعاد فرض الاحكام العرفية من جديد،

وقام باعتقال مابين ٨٠٠-٩٠٠ شخص، وكان اغلبهم من مناوئيه، ومن المؤيدين للعائلة القاجارية[٤٢].

كانت تلك الاخبار تصل احمد شاه تباعا وهو في اوربا، وقد اقترح عليه عدد من مستشاريه التخلص من رضا خان لمعالجة الوضع، الا انه رفض الفكرة وصمم على العودة الى البلاد[٤٣].

استغل رضا خان الفرصة فنشر نبأ عودة الشاه في طول البلاد وعرضها، الامر الذي اثار موجة احتجاجات عنيفة. فتوالت البرقيات من مختلف الاقاليم والمدن الايرانية تعلن تأييدها لرضا خان، واقفلت الاسواق ابوابها في تبريز، ووردت الى المجلس برقيات تحمل تواقيع الشخصيات السياسية من مختلف انحاء البلاد تدعو الى انهاء الحكم القاجاري. واحتل التجار الاذربيجانيون الساكنون في طهران باحة المدرسة العسكرية. وخلال ساعات امتلأت الشوارع بالجموع المحتشدة التي اعلنت معارضتها لبقاء العائلة القاجارية، وانضمت اليها مجموعات اخرى اطلقت على نفسها اسم "المجموعة الزردشية" و "المجموعة الارمنية" و "المجموعة اليهودية"[٤٤]. وقد هدد قادة النقابات المهنية في تبريز، وبتشجيع من قائد الجيش المحلي، باقتطاع اذربيجان من ايران مالم يبدل المجلس احمد شاه برضا بهلوي[٤٥].

واثناء ذلك نشر حزب التجدد،الموالي لرضا خان، منهاجه باذلا الوعود السخية للجميع في محاولة لكسب الاوساط المختلفة، والتمهيد للخطوة المقبلة[٤٦]. وكان ذلك يعني ان رضا خان اصبح عمليا قاب قوسين او ادنى من العرش، ولم يعد يحتاج ليضع اقدامه على اعتاب قصر كلستان، والتربع على عرش الطاووس"تسمية العرش الايراني" سوى بعض الخطوات التي عرف كيف يرتبها بذكاء، بعد ان (نجح في جعل البلاد بكاملها تحت سيطرته بواسطة الجيش، فضلا عن تمكنه من تحشيد جميع القوى السياسية حوله"[٤٧]. حسبما ذكر لورين في برقيته الى وزير الخارجية ماكدونالد. واكد السفير البريطاني(انه مامن شيء الان، سوى الموت، يستطيع ان يزحزح رضا خان عن موقعه، او يمنعه من تولي سلطات اوسع قد يرغب بها سريعا)[٤٨]. ولكن لورين

عزا نجاح رضا خان (الى مساعدة حكومة جلالته... والا فان الصعوبات التي يواجهها ستبلغى ثلاثة اضعاف ماهي عليه الان... وتتلاشى فرص النجاح امامه نسبيا)[٤٩].

حاول رضا شاه قبل كل شيء جس نبض الانكليز ورد فعلهم تجاه خطواته اللاحقة، فاوعز الى وزير خارجيته مرزا حسن مشاور بالاجتماع بالسفير البريطاني، ومعرفة رأيه بالوضع الحالي لايران، ومدى تأييد الانكليز لاحمد شاه، وكان رد الانكليز دبلوماسيا جدا حينما اخبر لورين الوزير الايراني "ان حكومة صاحب الجلالة لاترغب بالتدخل في الشؤون الداخلية لدولة صديقة"[٥٠].

وبعد ان اطمأن رضا خان الى موقف الانكليز التقى في اليوم التالي مباشرة مع السفير البريطاني، وكرر للسفير تعهداته السابقة، وبيّن له "انه عند موقفه من بياناته السابقة في مايخص علاقات ايران بانكلترا"[٥١].

تشكيل اللجنة التأسيسية، والتمهيد لخلع الاسرة القاجارية

لم تبق اذن سوى بعض الاجراءات الصورية لوضع الامور في اطارها المنطقي والواقعي بتنصيب رضا خان على العرش. وتولى حزب التجدد هذه المهمة. ففي اواخر تشرين الاول ١٩٢٥ قدم الحزب مدعوما من معظم اعضاء المجلس، والذين كان بعضهم حتى وقت قريب من معارضي رضا خان، اقتراحا يطالب بالغاء حكم الاسرة القاجارية، وتفويض مهام الحكم مؤقتا الى رضا خان لحين انتخاب جمعية تأسيسية تأخذ على عاتقها تحديد شكل الحكم في البلاد[٥٢].

لقد اربك الاقتراح المذكورالنخبة الحاكمة التي لم تتخيل ان الرجل الذي "اعتبرته جاهلا" قد قفز بسرعة فائقة الى المرتبة الامامية، وان طموحاته قد وصلت حتى الى العرش نفسه حسبما ذكر السفير لورين[٥٣].

بعد يومين اجتمع المجلس للتصويت على مشروع القرار. واثناء المناقشات سعت المعارضة، بيأس، الى تأجيل الجلسة، الا ان مساعيها خابت، ولم يثر الاعضاء اي اعتراض باستثناء اربعة منهم، وهم تقي زادة، وحسين علاء، ودولت ابادي، ومحمد مصدق. اما مدرّس،الخصم الشرس لرضا خان، فقد غادر القاعة غاضبا وهو يصرخ

باعلى صوته انه حتى في في حال حصولهم (على مائة الف صوت فان هذه الانتخابات لاتعتبر قانونية). ومن بين الجميع كان مصدق الوحيد الذي القى خطابا معتدلا، تحدث فيه بذكاء، وبكثير من الدبلوماسية عن سبب معارضته لتخويل السلطة الملكية الى رضا خان قائلا(ان تحويل السردار"الرتبة العسكرية لرضا خان" الى ملك دستوري ضعيف سيفقد البلاد قيادة سياسي قدير جدا، واذا حولته الى دكتاتور فان ذلك سيكون ضد انجازات الثورة الفارسية "الثورة الدستورية")[٥٤].

اما تقي زادة فعلق على ذلك بقوله(تلك ايام لم يكن فيها الا ممثل واحد، اما الباقون فكانوا دمى بين يديه)[٥٥]. لقد ادرك مصدق، مع قليلين غيره، وببصره الثاقب مضامين الحدث الذي كان يُعَّد له باحكام، ومنذ فترة. لقد كان (تبديل رضا خان برضا شاه بطيئا، ولكن مستمرا)[٥٦].

على اي حال، جرى التصويت على القرار فايده (٨٠) عضوا في حين عارضه (١٥) عضوا فقط. وبموجب ذلك اصبح رضا خان رئيسا للحكومة المؤقتة لحين اجتماع الجمعية التأسيسية[٥٧]. وبذا انتهى حكم القاجاريين رسميا منذ ٣١ تشرين الاول١٩٢٥. وعقب ذلك بقليل غادر ولي العهد قصر كولستان، الى بغداد، ومن ثم الى اوربا بعد زيارته للعتبات المقدسة في العراق[٥٨]. وعلق لورين على ذلك بانه لم يشاهد (اشارة واحدة تدل على ندم لانها الامبراطورية القاجارية)[٥٩]. وبذلك اسدل الستار على فصل مثير في التاريخ الايراني.

اطلقت المدافع في ايران إيذانا بانتهاء العهد القديم وقيام حكم جديد، واصدر رضا خان اوامره باطلاق سراح المعتقلين السياسيين، واعلان العفو عن افراد الاسرة المالكة السابقة، وتخفيض ثمن الخبز، ومنع بيع الكحول، واعلان عطلة لمدة ثلاثة ايام[٦٠]. ونشر بيانا بالمناسبة الى الشعب، ذكر فيه ماآل اليه الوضع في البلاد، والاسباب التي حمّلته على التدخل لمعالجة تلك الاوضاع[٦١].

جاءت انتخابات المجلس التأسيسي اشبه بالمسرحية، اذ لم تستغرق سوى اربعة اسابيع. وكان جل اعضائه من المؤيدين لرضا خان[٦٢]. ومن المفيد الاشارة الى

البرقية التي بعث بها لورين الى وزارة الخارجية البريطانية حول هذا الموضوع، فقد ذكر (ان رضا خان ينوي تأليف الجمعية التأسيسية بسرعة، وهو عازم على اقامة نظام نهائي للحكومة... ويأمل حسم هذا الامر خلال ثلاثة اسابيع تلافيا لتعقيدات داخلية وخارجية. وليس هناك ادنى شك بان رضا خان سيكون الشاه المقبل)[٦٣].

إرتقاء العرش

افتتح رضا خان المجلس التأسيسي في ٩ كانون الاول ١٩٢٥، ولم "يضيّع" المجلس وقته حسبما ذكر لورين في رسالته الى تشمبرلن. فبعد مناقشات حامية حول قضايا شكلية من قبيل تحديد لقب الشاه، ومن يقوم بقديم التاج الى الشاه الجديد، قرر المجلس في ١٢ كانون الاول خلع الاسرة القاجارية، وحرمان جميع افرادها من حق الادعاء بالعرش مستقبلا[٦٤]، وانتخاب رضا خان شاها لايران بعد تعديل الفقرات ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٠، من الدستور[٦٥]. ومن مجموع (٢٦٠) نائبا صوتوا مع القرار تحفّظ ثلاثة فقط ضده وهم سليمان مرزا، ونائبان اشتراكيان آخران بررا موقفهما بانهما مع انتخاب رضا خان، (الا ان مبادئهم الاشتراكية تمنعهم من تأييد اقامة نظام ملكي جديد)[٦٦]. وقد صرح سليمان مرزا فيما بعد انه قد خُدع من قبل (القائد الوطني البرجوازي)[٦٧]. وقد علق لورين على تلك الاحداث قائلا (ان اليسار اصبح ملتصقا بعجلات عربته، ولكن الحاصل هو العكس، فقد شدّ رضا خان هؤلاء واولئك الى عجلات عربته هو)[٦٨].

بعد ان ادى رضا شاه اليمين الدستورية في ١٥ كانون الاول عام ١٩٢٥، كلف فروغي بتأليف اول وزارة في عهده في ١٩ كانون الاول. وفي ٢٥ نيسان ١٩٢٦ جرى تتويجه[٦٩] في قصر كلستان بعد ان اختار زي نابليون بونابرت، بعد اجراء بعض التعديل عليه، بحضور كبار الشخصيات السياسية والعسكرية في الدولة، وممثلي السفارات الاجنبية. ولم ينس رضا شاه اختيار السفير البريطاني لورين ليكون الناطق باسم الممثلين الاجانب في طهران لتقديم التهاني للشاه اثناء مراسم التتويج[٧٠].

كانت بريطانيا اول دولة تعترف بالنظام الجديد بعد ان اعرب رضا خان عن (رغبته الملحة في ان تكون حكومة صاحبة الجلالة اول حكومة اجنبية تعترف به)[٧١]. وبعد ان اطمأن رئيس الوزراء البريطاني تشمبرلن الى ان الاحداث التي جرت اخيرا في ايران (لم تسبب اي ضرر للمصالح البريطانية)، اعرب عن استعداد حكومته للاعتراف بالنظام الجديد[٧٢]. واعلنت لندن اعترافها رسميا في ٣ تشرين الثاني ١٩٢٥. وفي اليوم التالي اعترف الاتحاد السوفييتي[٧٣] بالنظام الجديد، وقرر رفع درجة تمثيله الدبلوماسي لدى ايران الى درجة سفارة[٧٤]. ولم تلبث ان توالت اعترافات الدول الاخرى، ففي ٧ تشرين الثاني اعترفت الولايات المتحدة الامريكية بالنظام الجديد، تبعتها فيما بعد دولا اخرى[٧٥]. وبذا بدأ عهد جديد في ايران، كان لرضا خان بصمات واضحة في توجيه احداث الست عشرة سنة اللاحقة.

استنتاج وتقويم

لم يأتِ صعود رضا خان، الشخصية العسكرية الطموحة الى العرش الايراني، وتاسيس الاسرة البهلوية عفويا، فقد التقت مصالح جهات عديدة، داخلية وخارجية اقتضت مصلحتها اجراء مثل هذا التغيير. فان الاوضاع الداخلية المتفاقمة، ونشاط، الحركة الوطنية الذي تزايد زخمها بشكل كاد يعصف بالمخططات الغربية، ولاسيما البريطانية في ايران والمنطقة، كل هذه العوامل صبت في الاطار الذي حتّم مثل هذا التغيير في ايران. فبريطانيا ذات الوزن الاكبر، والاكثر تأثيرا في ايران، كان لابد لها ان تتدخل في لعبة"شد الحبل" من اجل السلطة الذي كان يجري على الساحة الايرانية، وكان رضا خان، الشخصية الاكثر تحقيقا للمصالح البريطانية في ايران.

واتسمت سياسة رضا خان في هذا الميدان بقدر كبير من الذكاء والديناميكية، فهو ادرك منذ البداية ضرورة الموازنة مع القوى الاجنبية الفاعلة في بلاده، وقد نجح في ذلك الى حد كبير.

ولعل من قبيل الغلو والمبالغة اتهام رضا خان بانه كان خاضعا للغرب او تابعا له، ولاسيما البريطانيين. فعلى الرغم من ان القوى الاجنبية، وخصوصا بريطانيا

لعبت دورا غير مباشر في مجيئه الى العرش، ومع ان المصالح الغربية، والبريطانية خصوصا، قد روعيت بشكل افضل من السابق، سواء اثناء تسنمه لرئاسة الوزراء، ولاحقا حينما تولى العرش ، فانه استطاع في مناسبات عديدة انتزاع بعض المواقف منهم لصالح بلاده، بيد انه لم يكن يستطيع تجاهلهم كليةً، وكان ذلك مرتبطا والى حد كبير، بميزان القوى العالمي الذي كان يميل لبريطانيا كقوة كبرى لها وزنها وسطوتها في ايران والمنطقة.

الهوامش:

١-حسب التقويم الايراني

٢- واحد من ابرز الصحفيين الايرانيين آنذاك، عُرف بميوله الليبرالية، وعلاقته الوثيقة بالانكليز ، اصدر صحيفة"رعد" التي كانت احيانا تنتقد الفساد في بعض الادارات الحكومية، والتواجد الاجنبي في بلاده، فأستقطب عددا من المثقفين الايرانيين.

٣- لتفاصيل اكثرعن وصول رضاخان الى العرش وتأسيس الاسرة البهلوية، راجع: محمد كامل محمد عبد الرحمن، سياسة ايران الخارجية في عهد رضا شاه بهلوي، البصرة،١٩٨٩، ص٢٠-٣٢ ؛ نوبخت، شاهنشاه بهلوى، قسمت اول،مطبعهء مجلس،بلا،ص ٤٠-٥٢.

٤-كمال مظهر احمد، رضا المازندراني والعرش الايراني. من تاريخ تأسيس الاسرة البهلوية والخيوط الاولى لسياسة الاستعمار الجديد في الشرق الاوسط، مجلة"آفاق عربية"،السنة٨، العدد٣، بغداد، تشرين الثاني١٩٨٢، ص ٤٠؛

Contemporary Iran, London,1963,P.69;Mohammad Wilber, D.N. Answer to history, London,P.49. Riza Pahlavi,

5- 13-F.O,371/1148,Confidential,British Government to Archives,No.8,E1432/34,From Loraine Austen,March2,1926,P.17.

Sykes, A history of Persia,Vol.ll,London,1969,P.545. 6- P. Agaeav, Vneshnaya Political prpblemi nizavisimosti 1920- 7- S.L. 1941, Moskva,1971, P.7.

Op. Cit., P.70. 8- Wilber,

9- G. Lenczwski(ed), Iran under the Pahlavis,California,1978 ,P.19.

10- Gordon Waterfield, Professional Diplomat. Sir Percy Loraine P.75. to Curzon, February 20, 1922, P. 28.

11- Y. Armajani, Iran, New Jersey,1972, P. 33;

خليل علي مراد، تطور السياسة الامريكية في منطقة الخليج العربي ١٩٤١-١٩٤٧، بغداد،١٩٨٠، ص ٥٢٦.

12- F.O.,371/1/16145,Confidential,British Government Archives, No.1, E2423/455/34, From P. Loraine.to Macdonald, February 11, 1924, P.22.

١٣- هارفي اوكونور،الازمة العالمية في البترول، ترجمة عمر مكاوي، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٣٥٠.

١٤- المصدر نفسه، ص٣٥٠.

١٥- طالب محمد وهيم، التنافس البريطاني الامريكي على نفط الخليج العربي١٩٢٨-١٩٣٩، بغداد، ١٩٨٣، ص ٤٧؛

Armajani, Op. Cit., P. 331.

١٦- للتفاصيل راجع:

- F.O.,371/1/16145,Confidential,British Government Archives, No.1, E2423/455/34, From P. Loraine.to Macdonald,February11, 1924, P.22.

17-D. Wilber, Riza Shah Pahlavi. The Resurrection and Reconstruction of Iran, New York, PP.88-89; H. Katouzian, The Political economy of Modern Iran 1926- 1979, London and Basingstoke, 1981, P.90.

18- Katouzian, Op.Cit., P.90.

١٩- للتفصيل عن تلك الامتيازات راجع:

S.Agaev, Germanski Impreialism V Iran, Moskva, 1969PP.14-27.

20- Wilber, Contemporary Iran, Op. Cit., P.71.

21- Ibid, P.71.

22- F.O.,371/1/16145,Confidential,British Government Archives, No.1, E2423/455/34, From P. Loraine.to Macdonald, February 11, 1924, P.24;

عبد العزيز عبد الغني، السلام البريطاني في الخليج العربي ١٨٩٩-١٩٤٧، الرياض ١٩٨٢، ص ٢١٣.

23- L. Agaev, Iran V Period Politicheskovo Krizisa(1920-1925), Moskva, 1970,P.187.

24- Ibid,P.190.

25- O.R.,L/P+S/10/1104,Tel.No.157, E228, From Loraine to F.O.,March26,1925.P.18.

26- Wilber, Riza Shah Pahlavi, P. 91.

27- . Agaev, Iran V Period Politicheskovo Krizisa, P.1880

- F.O.,371/1/10840,Confidential, Tel.No.16, From P. Loraine.to ٨2 F.O, January 22,29;

N.S. Ivanov, Ochirk Istorii Irana, Mosva,1952,P310.

29 – Ibid, P.310; Riza Shah Pahlavi, P.93.

٣٠- موسى الموسوي، ايران في ربع قرن، بيروت، ١٩٧٢، ص١٧٥.

31- F.O.,371/1/10840, Tel.No.60, From P. Loraine.to F.O, May 11,1925, P.41.

32- Sykes, Op. Cit., P.54.

33- Wilber, Riza Shah Pahlavi, PP.102-103.

34- Ibid,P.103.

35- Ibid,P.103.

36- Ibid,P.104.

٣٧- ظل السفير البريطاني لورين يعتقد حتى اللحظات الاخيرة بعدم ممانعة رضا خان في عودة الشاه الى البلاد، وانه "يرحب باية خطوة في هذا المجال"، وهو الامر الذي اثبتت الاحداث اللاحقة عدم صحته. لتفاصيل اكثر راجع:

F.O.,371/1/10840, Very Confidential, Tel.No.53, From P. Loraine.to F.O, March 2,1925, P. 38.

38- Wilber, Riza Shah Pahlavi, P.104.

39- Ibid, P.104, , P.105; Agaev, Iran V Period Politicheskovo Krizisa, P.188.

41-- Wilber, Riza Shah Pahlavi, P.105.

٤٠- تجدر الاشارة الى ان ازمة الخبز كانت مستفحلة الى درجة دفعت السوفييت، تعبيرا عن حسن نيتهم تجاه رضان خان الى منح ايران (١٠٠٫٠٠٠) رطل من الحبوب مجانا لمعالجة الوضع المتأزم آنذاك. لتفاصيل اكثر راجع:

Agaev, Iran V Period Politicheskovo Krizisa, P.189.

42- Ibid, P.186.

43- Wilber, Riza Shah Pahlavi, P.105.

44- Ervand Abrahamian, Iran between two Revolutions, P.134.

45- Ibid, P.134.

٤٦- حول منهاج حزب التجدد راجع: كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص ٥٧.

47- F.O.,371/1/16145,Confidential,British Government Archives, No.1, E2423/455/34, From P. Loraine.to Macdonald, February11, 1924, P.23.

48- Ibid,P.23.

49- Ibid,P.23.

50- "Documents on British Foreign Policy,1919-1939",Series IV,Vol.I.PP.763-764.

51- Ibid, P.765.

52- F.O.,371/1/16145,Confidential,British Government Archives, No.1, E2423/455/34, From P. Loraine.to Macdonald,February11, 1924, P.23; A.R. Sanghvi, The Shah of Iran. Apolitical Biography, London, 1968, P. 92; Abrahamian, Op. Cit., P.135.

53- Waterfield, Op. Cit., P.74.

54- H. Katouzian, Op. Cit., P.91;

همايون كاتوزيان،الاتجاهات الوطنية في ايران ١٩٢١-١٩٢٦، ترجمة هاشم كاطع، مجلة"الخليج العربي"، العدد الاول، البصرة، ١٩٨٤، ص٦٩.

٥٥- ابراهيم الدسوقي شتا،الثورة الايرانية. الجذور الايديولوجية، بيروت، ١٩٧٩، ص ٦١.

56- Quoted in: Abrahamian, Op. Cit., P.118.

57- Kermit Roosevelt, Counter Coup .The Struggle for the Control of Iran, New York, 1979, P.29; Abrahamian, Op. Cit., P.135.

58- Abrahamian, Op. Cit., P.135.

59- Ibid, P.135.

60- Ibid,P.135; "The Near East and India", No.765, Vol. XXXIX, London, January 14, 1926, P.37.

61- Abrahamian, Op. Cit., P.135.

62- Ibid,P.135; Katouzian, Op. Cit., P.91.

63- F.O.,371/1/10840, Confidential, Tel.No.53, From P. Loraine.to F.O, November 3,1925, P. 139.

٦٤- بقي احمد شاه يعيش في باريس حتى عام ١٩٣٠، حيث توفي في المستشفى الامريكي اثر مرض ألم به.

65- "The Near East and India", No.765,Vol.XXXIX, London, January 14, 1926, P.37; Katouzian, Op. Cit., P.92.

66- Abrahamian, Op. Cit., P.135; Wilber, Riza Shah Pahlavi, P.107.

67- Abrahamian, Op. Cit., P.135; Katouzian, Op. Cit., P.91.

68- Quoted in: Abrahamian, Op. Cit., P.135.

٦٩- للتفاصيل حول حفلة التتويج وخطبة العرش راجع: عبد السلام عبد العزيز فهمي، تاريخ ايران السياسي في القرن العشرين، القاهرة، ١٩٧٣، ص ٦٠-٦١؛ Wilber, Riza Shah Pahlavi, PP. 113-116.

70- F.O.,371/1/11483,Confidential, Tel, No.64, E1432/92/34, From P. Loraine.to Austin,February2, 1926, P.173;

F.O.,371/1/11483,Confidential, British Government Archives , No.8, E1432/92/34, From P. Loraine.to Austin, March, 1926, PP.173-174; "The Near East and India", No.765,Vol.XXXIX, London, January 14, 1926, PP.37.

71- "Documents on British Foreign Policy, 1919-1939", Series IV,Vol.I.P.775.

72- Ibid, P.775.

٧٣- للتفصيل عن الموقف السوفييتي من وصول رضا شاه الى العرش راجع: والتر لاكور، الاتحاد السوفييتي والشرق الاوسط، تعريب لجنة من الاساتذة الجامعيين، بيروت، ١٩٥٩، ص ٩٥؛

- F.O.,371/1/10840,Confidential, British Government Archives, No.8, E8146/18/34, From Peter to Champarlain,December19, 1925,P.238.

٧٤- صالح محمد صالح العلي، التاريخ السياسي لعلاقات ايران بشرقي الجزيرة العربية في عهد رضا شاه بهلوي ١٩٢٥-١٩٤١، رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة البصرة، البصرة،١٩٨٣، ص ٤٤.

٧٥- المصدر نفسه، ص٤٤؛

Wilber, Riza Shah Pahlavi, P.110.